١

٢

١ أ.د/ أشرف محمد مؤنس
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة عين شمس
٢ د/ محمد عبد الباسط العنانى
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة عين شمس

دور المجتمع المدنى فى مقاومة الاحتلال الأجنبى
"الحملة الفرنسية أنموذجًا"

مقدمة :

تتناول هذه الدراسة دور المجتمع المدنى المصرى فى مقاومة الاحتلال الأجنبى، «الحملة الفرنسية أنموذجًا»، فقد سَطَّر المصريون عبر مراحل التاريخ المصرى المختلفة كثيرًا من التضحيات والبطولات للدفاع عن أراضى هذا الوطن العزيز الغالى، ضد أى طامع وضد كل غازى أو محتل، وكانت مقاومتهم للحملة الفرنسية خير شاهد على ذلك، فمنذ وصول الفرنسيين إلى شواطئ الإسكندرية وجدوا أمامهم شعبًا لا يقبل بوجود المحتل على أراضيه، ولا يتهاون فى الدفاع عنها بكل بسالة، ولا يتراجع عن حقه هذا مهما بلغت قوة هذا المحتل أو اختلفت أساليبه لتزييف هذا الوعى الفطرى لدى المصريين، الذى كان بمنزلة الدافع لاستمرار مقاومتهم للحملة الفرنسية طوال السنوات الثلاث (١٧٩٨-١٨٠١م) التى احتلت فيها مصر، فلم يمر الجيش الفرنسى بمكان بداية من الإسكندرية وحتى أسوان إلا وقُوبل بمقاومة المصريين، الذين لم يهابوا أسلحة الجيش الفرنسى الفتاكة أو بطشه، ولم يستسلموا أو يتراجعوا عن مواصلة الدفاع عن أراضيهم مقدمين أرواحهم فداء لهذا الوطن.

وانطلاقًا من ذلك سنتناول الشخصية المصرية ودور المجتمع المدنى فى مناهضة الاحتلال الأجنبى، وهل حدث تغير أثّر فى الشخصية المصرية أم لا ؟ وما هى مكونات المجتمع المدنى المصرى ؟ ..

هذا ما سوف يتضح من خلال تناولنا للدراسة.

إشكالية الدراسة :

لا شك فى أنه قد حدثت تغيرات شملت الطبيعة المصرية، وامتد تأثيرها إلى الشخصية المصرية، فقد أدَّت العديد من العوامل الداخلية والخارجية التى أثرت على الشخصية المصرية، منها انخفاض الحالة الاقتصادية للمصريين، أدى إلى أنه لم تعُد خيرات الأرض تكفى المصرى أو تطمئنه لذلك لم يعُد مطمئنًا، واضطر للسفر للخارج باحثًا عن لقمة العيش له ولأسرته، وعندما عاد من الخارج بعد سنوات الهجرة والغربة وبعد أن تأثر بالحياة فى الخارج وأصبحت ثقافته خليطًا من عدة ثقافات، وأصبح يحمل ثقافة مشوَّهة ويدعم الاستهلاك ولا يدعم الإنتاج[١]، بالإضافة إلى عوامل أخرى وافدة من الخارج تهدف إلى التآمر على مصر باعتبارها قوة إقليمية ، ومحاولة استقطاب بعض الشباب المصرى للعمل كعملاء للدول الأجنبية للإيقاع بمصر [٢]، كل هذه العوامل وغيرها أدَّت فى النهاية إلى وجود ضعف للانتماء بدرجات متفاوتة عن ذى قبل، وتهدف الدراسة إلى معالجة إشكالية الانتماء من خلال التمسك بالجذور.

هدف الدراسة :

١- معرفة مدى انتماء المصريين للدفاع عن بلدهم.

٢- إبراز الدور الوطنى لطوائف وفئات المجتمع المصرى إبان الحملة الفرنسية.

٣- تحاول الدراسة إلقاء الضوء على دور المصريين فى مقاومة الحملة الفرنسية على مصر.
٤- توضيح للجيل الحالى أمجاد الأجداد والآباء دفاعًا عن بلدهم .
٥- غرس قيم الولاء والانتماء لدى الجيل الحالى .

تساؤلات الدراسة :

١ - هل حققت الحملة الفرنسية أهدافها؟
٢- ما هى عناصر المقاومة المصرية، وما دافعها؟
٣- ما سمات الشخصية المصرية؟
٤ - ماهى مكونات المجتمع المدنى؟
٥- هل حققت المقاومة المصرية أهدافها؟

منهج الدراسة :

أما المنهج الذى اتُبع فى هذه الدراسة، هو المنهج التاريخى الموضوعى والمنهج التحليلى، بهدف رصد الأحداث التاريخية وتحليلها ملتزمًا بوحدة الموضوع فى السياق التاريخى العام، بهدف الوصول إلى الحقيقة التاريخية قدر المستطاع.

الإطار المفاهيمى للدراسة :

مفهوم المجتمع المدنى:

ظهر مصطلح المجتمع المدنى فى قاموس البشرية قديمًا عند الرومان، ومن ثم اختفى ليعود بعد ذلك إلى الظهور فى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، وربما يكون جون لوك john Locke أول من استخدمه بعد الثورة الإنجليزية عام ١٦٨٨م فى نصه المشهور (رسالة التسامح ١٦٨٩م) ثم توالى على دراسته ونقده واستقصاء أبعاده المختلفة عدد من الفلاسفة وعلماء الاجتماع والساسة الغربيين مثل هوبز Hobbes وروسو Rousseau وهيجل Hegel وغيرهم، فكانت ولادته فى ظل التحول الجذرى الذى اجتاح أوروبا، والانتقال من عصر الظلام إلى عصر الدولة الحديثة والنظام الجديد، ثم عاد للظهور ثانية ليوافق بدايات التحول فى أوروبا الشرقية، فانطلق من بولونيا عام ١٩٨٢م عندما طرحت نقابة التضامن نفسها باعتبارها أحد التنظيمات للمجتمع المدنى [٣] .

ويُعرف المجتمع المدنى بأنه المجتمع الذى يشمل مؤسسات ومنظمات تعمل بشكل مستقل عن مؤسسات الدولة، وبصورة طبيعية، وتستهدف خدمة المجتمع فى مختلف المجالات، ومنها نشر الوعى وتنمية القدرات فى مجال التنمية المستدامة [٤].

أما عن المجتمع المدنى فى مصر بالشكل المتعارف عليه فى الغرب، فقد ظهر متأخرًا، ولم ينتقل إلى مصر والعالم العربى إلا فى العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وبدأ مصطلح المجتمع المدنى يدخل فى قاموس السياسة العربية.

فقد شهدت مصر والبلاد العربية والإسلامية موجة من الاهتمام المتصاعد بمؤسسات المجتمع المدنى، وبما يرتبط بذلك من هيئات وتنظيمات وفعاليات متنوعة تغطى مساحات واسعة ومجالات متعددة فى الواقع الاجتماعى المعاصر، تقودها منظمات غير حكومية عالمية عملاقة، تطمح إلى تكوين نوع من الوحدة بين شعوب العالم ومجتمعاته فيما يتعلق بقضايا الحريات العامة وحقوق الإنسان والتنمية البشرية المستدامة وتحسين أوضاع الفئات المهمشة والفقيرة والمحرومة حول العالم. [٥]

وإنما ما نقصده بالمجتمع المدنى فى مصر فى أواخر القرن الثامن عشر والتاسع عشر- إن جاز هذا التعبير - هم المجموعات غير الحكومية مثل كبار التجار والحرفيين وفتوات الحارات والطلاب والمشايخ والأهالى وعامة الناس، الذين قاموا بدور كبير فى تنظيم أنفسهم لمقاومة المحتل الأجنبى (الفرنسى) بعد هزيمة قوات المماليك القوة الرسمية المناط بها الدفاع عن مصر أمام الفرنسيين [٦] ، وقد أبلى المصريون بلاءً حسنًا، وهذا ما سيتضح من خلال الدراسة.

التعريف لغويًا :

المجتمع فى اللغة هو مصطلح مشتق من الفعل جمّع، وهو عكس كلمة فرّق، كما أنها مشتقة على وزن مُفتعَل، وتعنى مكان الاجتماع، والمعنى الذى يقصد بهذه الكلمة هو جماعة من الناس [٧].

المجتمع لغة، كما جاء فى معجم المعانى الجامع، هو عبارة عن فئة من الناس تشكل مجموعة تعتمد على بعضها البعض يعيشون مع بعضهم وتربطهم روابط ومصالح مشتركة، تحكمهم عادات وتقاليد وقوانين واحدة[٨].

التعريف اصطلاحًا :

يُعرَّف المجتمع المدنى «بأنه مجموعة من التنظيمات التطوعية الحرة التى تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة، لتحقيق مصالح أفرادها ملتزمة فى ذلك بقيم

ومعايير الاحترام والتراضى والتسامح والإدارة السلمية للتنوع والخلاف»[٩] .

وتشمل تنظيمات المجتمع المدنى كلًا من الجمعيات والروابط والنقابات والأحزاب والأندية والتعاونيات، أى كل ما هو غير حكومى، وكل ما هو غير عائلى أو وراثى. وسنتناول مفهوم المجتمع المدنى مركزًا على الروابط غير الحكومية التى قامت بدور وطنى فى مقاومة الاحتلال الفرنسى.

مفهوم الشخصية :

الشخصية هى تعبير عن البيئة والمجتمع المحيط بالفرد، فهناك بعض السمات أو الصفات التى يتميز بها الأفراد فى بيئة أو فى مجتمع ما، فنلاحظ فى المجتمع المصرى أن شخصية الأفراد تتميز ببعض الصفات، وأيضًا بعض العادات والتقاليد المغروسة من خلال التنشئة الاجتماعية والاحتكاك مع أفراد المجتمع [١٠] .

الشخصية المصرية تُعد انعكاسًا للواقع السياسى والاقتصادى والاجتماعى، ولا تنفصل عن هذا الواقع ولا تتغير دون تغييره، ومن ثَم فإن سمات الشخصية المصرية وملامحها ليست مستقرة أو ثابتة شأنها شأن أى شخصية قومية تتسم بخصائص إيجابية وسلبية فى آن واحد [١١].

ولذا فالشخصية المصرية هى حصاد تفاعل تاريخى متواصل ومتجدد بين مجموعة من المكونات أو الركائز المشتركة للشخصية المصرية سواء كان مسلمًا أومسيحيًا حسب الديانة، ريفيًا كان أوحضريًا، تاجرًا أوحرفيًا حسب الطبقة الاجتماعية، وحسب النوع الاجتماعى ذكورًا أو إناثًا، وحسب الأجيال شبابًا وكبارًا، ولذا سنجد أن مكونات ركائز الشخصية المصرية لا تختلف كثيرًا عن ركائز ومقومات الشخصية الوطنية.

وإن كان التاريخ السياسى والاقتصادى النوعى هو الذى أكسب الشخصية المصرية طابعها العام المشترك خاصة ما يتعلق بتركيز الثروة والسلطة أو توزيعهما، والعلاقات المرتبطة بهما وبالذات غياب أو حضور المشاركة والعدالة وتكافؤ الفرص.

إذن الشخصية المصرية عميقة الجذور تتوغل فى أعماق التاريخ وتتميز بالمرونة والقدرة الدائمة على التكيف والتعايش مع المتغيرات الحضارية، مما جعلها قادرة وبقوة على مواجهة التحديات والصعاب التى يفرضها هذا العصر وكل عصر.

سمات الشخصية المصرية :

١- المصريون أمّة محافظة تبحث عن التطور.

٢- مرونة الشخصية المصرية سبب خلود مصر.

٣- العودة إلى تاريخنا العريق ضرورة.

أولا : المصريون أُمّة محافظة تبحث عن التطور:

إننا إذا تحدثنا عن المصريين وطابعهم القومى والحضارى العام، فإننا لا نستطيع فى يسر أن نقول إنهم أمّة محافظة على القديم فقط، فمثل هذا الحكم لا يجوز أن يطلَق على علاته ، وهو إلى جانب ذلك حكم لا يشمل إلا جانبًا من الحقيقة، فإذا كان المصريون قد حافظوا على بعض تراثهم القديم، فإنهم لم يقفوا جامدين من نزاعات التجديد، وإنما حفل تاريخهم الطويل بكثير من عناصر التقدم والتطور والابتكار والاقتباس، وشمل ذلك حياتهم المادية والروحية جميعًا وحضارتهم المدنية والثقافية سواء بسواء، ولن يكون من الإنصاف فى حق هذه الأمة العريقة أن نرميها بالجمود، ونقول إنها محافظة إلى حد يقطع بينها وبين أن تساير سُنّة التطور، وتواكب مسيرة التحضر، بل إنها تحرص على التقدم والاجتهاد والتجديد[١٢].

ثانياً: مرونة الشخصية المصرية سبب خلود مصر:

وإذا كانت مصر جامدة فى تاريخها الحافل الطويل لسبقتها الأمم الأخرى واندثرت حياتها وزالت أمتها كما زال غيرها من الأمم، ولئن كانت مصر قد عاشت كل هذه القرون الكثيرة، فما ذاك إلا لأنها لم تتقاعس عن أن تأخذ بأسباب التجديد[١٣].

وتتصف الشخصية المصرية بصفات كثيرة منها النُّصرة فى الشدة والشهامة والتمسك الدائم بالأمل والإصرار على مواجهة الصعاب مهما كانت، كما أنها تتميز بالجَلَد والصبر والقوة والقدرة على التحمل والاحتفاظ بالصبغة المصرية.

ثالثاً: العودة إلى تاريخنا العريق ضرورة:

وقد يكون من الخير لأبناء مصر وهم يترسمون خطاهم ويرسمون خططهم للمستقبل أن يعودوا إلى تاريخهم، ليدرسوا فيه شخصية أمتهم المميزة، وعندئذ يعلمون أنهم محافظون يجيدون المحافظة ومجددون يحسنون التجديد، بل عندئذ يعلمون أن لشخصيتهم القومية مقومات أساسية نشأت فى مصر وتغذت بلبان بيئتها [١٤] .

فإن شعب مصر قد عرف كيف يساير الزمن على مدى تاريخه، وكيف يجدد حياته، ويغذى حضارته ويتحدى الصعاب ويقاوم المعتدى، بما يبتكر مستفيدًا من رصيده الحضارى الممتد عبر القرون .

تقسيم محتويات الدراسة :

أولًا : مقاومة الحملة الفرنسية فى الإسكندرية ووعى المصريين بالأطماع الفرنسية.
ثانيًا : ثورة القاهرة الأولى.
ثالثًا : ثورة القاهرة الثانية.
رابعًا: الثورة فى الأقاليم.
١- مقاومة الحملة الفرنسية فى الوجه البحرى.
٢- ثورات الصعيد ومقاومته للحملة الفرنسية .

أولاً : مقاومة الحملة الفرنسية فى الإسكندرية ووعى المصريين بالأطماع الفرنسية :

قاوم أهالى الإسكندرية الحملة الفرنسية مقاومة باسلة، منذ اللحظة الأولى لوصول الفرنسيين إلى شواطئ الإسكندرية فى ٢ يوليو ١٧٩٨م ؛ إذ انتفض أهالى الإسكندرية للدفاع عنها وانضم إليهم العُربان وكاشف (حاكم) البحيرة والتفوا حول محمد كريم بطل المقاومة الشعبية والحاكم الوطنى لمدينة الإسكندرية آنذاك، الذى قاد المقاومة ضد الفرنسيين حتى ألقوا القبض عليه فى ٢٠ يوليو ، أى بعد ثمانية عشر يومًا من الاحتلال الفرنسى لمصر، وأعدموه بعد محاكمة عسكرية ظالمة فى محاولة منهم لضرب المقاومة المصرية وإرهاب المصريين[١٥]، ولكنهم لم يدركوا أن قرارهم هذا كان وقودًا للمقاومة التى أخذت تشتعل وتنتشر فى مصر كلها، وسببًا فى كشف المصريين لحقيقة الأطماع الفرنسية وكذب الشعارات البراقة التى رفعتها الحملة الفرنسية.

أراد نابليون بونابرت التقرب إلى المصريين، وأعلن أن مجىء الفرنسيين لهم بصفتهم مصلحين وليسوا محتلين، وحاول الظهور بمظهر القائد المصلح الذى يريد إصلاح الأوضاع المتدهورة فى مصر آنذاك، ولكن أدرك المصريون الأهداف الحقيقية لنابليون وحملته التى لم تكن تريد إلا احتلال الأراضى المصرية، وتسيير الأمور بما يخدم المصالح الفرنسية غير مبالين بمصالح هذا الوطن، وبذلك كان المصريون على وعى بالنيات الحقيقية لنابليون وأهدافه التى لا تهتم بحرية الأمم ولا تحترم حق الشعوب فى الحرية كما كان يردد؛ ومن ثم رفض المصريون كل ما هو فرنسى، وهدفوا إلى طرد الفرنسيين من الأراضى المصرية وتحريرها[١٦]. وهكذا، أدرك المصريون منذ اللحظة الأولى كذب الشعارات التى استخدمها نابليون والفرنسيون، فكانت طبيعتهم الكارهة لأى محتل هى الغالبة، وكان هدفهم – كما كان على مر العصور – هو الدفاع عن أراضيهم حتى وإن كانت أرواحهم هى الثمن.

ثانياً : ثورة القاهرة الأولى:

بعد أن وصل الفرنسيون إلى القاهرة واحتلوها فى ٢١ أكتوبر بعد انتصارهم على المماليك ، لم يقبل أهالى القاهرة بهذا الاحتلال الفرنسى للأراضى المصرية – مثلهم مثل أهالى الإسكندرية – وكانوا مقتنعين باستحالة التعايش مع الفرنسيين المختلفين عنهم من حيث الدين واللغة والعادات والتقاليد، ونظروا إلى الفرنسيين – الذين كانوا يخرجون الناس من بيوتهم ويحتلونها أو يهدمونها بحجة تحصين القاهرة – باعتبارهم محتلين ومغتصبين للأراضى المصرية؛ ومن ثم امتلأت شوارع القاهرة بالثوار المصريين الراغبين فى مقاومة الفرنسيين، كما تكونت لجنة للثورة فى أكتوبر ١٧٩٨م، وكان مقرها الجامع الأزهر الشريف، لتبدأ ما عُرف بثورة القاهرة الأولى، حيث تحرك الثوار المصريون باتجاه مراكز الجنود الفرنسيين وقتلوا بعضهم، وعلى رأسهم الجنرال ديبوى Dupuy – حاكم القاهرة الفرنسى ورئيس المحكمة الفرنسية التى حاكمت محمد كريم وحكمت عليه بالإعدام– مما زاد من حماسة الكثير من جموع المصريين الآخرين الذين انضموا إلى الثوار، فاتسعت دائرة الثورة والمقاومة ضد الفرنسيين الذين وجهوا فوهات مدافعهم باتجاه أحياء القاهرة وتجمعات الثوار فيها، فأحدثوا بها دمارًا كبيرًا، كما قاموا بدخول الجامع الأزهر بخيولهم باعتباره مركزًا للثورة، وقاموا بملاحقة قادة المقاومة فى محاولة منهم للقضاء على المقاومة المصرية للاحتلال الفرنسى، وهو ما لم ينجحوا فيه [١٧] .

لم يكن الفرنسيون يتوقعون آنذاك أن يثور المصريون ضدهم ويحاولوا مقاومتهم بهذه البسالة فى ثورة القاهرة الأولى؛ إذ كانوا يعتقدون أن المصريين قد أصابهم الخوف من أسلحة الفرنسيين وبطشهم؛ حيث قال أحد ضباط الحملة الفرنسية فى مذكراته: «تخيلنا أن الفزع الذى تثيره أسلحتنا، والصرامة التى ردعنا بها المرة

تلو الأخرى المتمردين- فى إشارة إلى المصريين الذين قاوموا الاحتلال الفرنسى – ستجبر المنهزم دومًا على خشيتنا، ولكن حكمنا لم يكن صائبًا»[١٨] ؛ وكان هذا الضابط محقًا، فالمصريون حقًا لم يهابوا أسلحة الفرنسيين التى كانت أكثر تقدمًا وفتكًا من أسلحتهم، ولم يتملك الخوف من قلوبهم، بل كانت تملؤها الشجاعة وتفيض، فلم يتراجعوا عن الدفاع عن أراضيهم ضد هذا المحتل الفرنسى الذى نظر إليهم نظرة دونية، محاولًا سلبهم أبسط حقوقهم فى الدفاع عن وطنهم.

وظل الثوار من المشايخ، وطلاب الأزهر، وفتوات الحارات، وأصحاب الحرف، والتجار، والأهالى، والعامة، متحصنين فى الشوارع وخلف المتاريس وطفقت جموع الثوار تحتشد فى حى الأزهر، واحتشد نحو خمسة عشر ألفًا من أشد الثوار حماسة، ودعموا المتاريس فى الطرق والأزقة الموصلة إليه [١٩] .

ويصور الجبرتى أن الجنود الفرنسيين ضربوا الجامع الأزهر وما جاوره من أماكن الثوار كسوق الغورية والفحامين بالمدافع والقنابل فى معركة غير متكافئة، ودخل الإفرنج إلى الجامع الأزهر وهم يركبون الخيول [٢٠] ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فإن الفرنسيين بدأوا فى البحث عن المسئولين عن تدبير الثورة فطلبوا الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان، والشيخ أحمد الشرقاوى، والشيخ عبد الوهاب الشبراوى، والشيخ يوسف المصيلحى، والشيخ إسماعيل البرّاوى، وحبسوهم فى بيت البكرى، كما أنهم اتهموا غيرهم بتوزيع الأسلحة على الأهالى وألقوا القبض عليهم، ولم يستجب الفرنسيون لطلب الشيخ السادات وغيره من المشايخ فى أمر إطلاق سراحهم، إلا أن الأمر انتهى حسب رواية الفرنسيين خافوا من ثورة النفوس عند إذاعة أنباء قتل الشيوخ المذكورين، فكتبوا أوراقًا وألصقوها بالأسواق تتضمن العفو والتحذير من إثارة الفتنة، ويبدو أن الناس قد استكانوا ولو مؤقتًا أمام قوة الحديد والنار [٢١] .

ثالثًا: ثورة القاهرة الثانية:

إن القاهرة لم تظل صامتة فترة طويلة ، إذ إنها ما لبثت أن ثارت ضد الفرنسيين مرة أخرى فى ٢٠ مارس ١٨٠٠م ، ومثلت ثورة القاهرة الثانية مرحلة جديدة من مراحل المقاومة المصرية ضد الحملة الفرنسية؛ حيث تجددت روح المقاومة فى نفوس المصريين بعد الاتفاق بين العثمانيين والفرنسيين فى يناير ١٨٠٠م، على جلاء الفرنسيين عن مصر، ولكن نظرًا للظروف الدولية آنذاك لم يتم تنفيذ ذلك الاتفاق، مما أدى إلى حدوث بعض الاشتباكات بين العثمانيين والفرنسيين، وقد ازداد حماس كثير من المصريين نتيجة لذلك فثاروا ضد الفرنسيين، وقاموا بالتعاون مع عساكر الجيش العثمانى بتحصين القاهرة وبعض أحيائها، وشيئًا فشيئًا صار السواد الأعظم من المصريين فى القاهرة متجهزين لقتال الفرنسيين؛ حيث وصف الجبرتى الحال حينها قائلًا: «ولم ينم ببيته سوى الضعيف والجبان والخائف» [٢٢] ، وفى حين كان المصريون يستعدون للقتال، فإن التجار قد تكفلوا بنفقاته ووفروا المأكل والمشرب للثوار، وهو ما عكس حقيقة الشخصية المصرية الأصيلة، وروح التعاون التى تجمع المصريين وقت الأخطار والأزمات، فكان المصريون على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية يجودون بأرواحهم وممتلكاتهم من أجل نصرة الوطن والدفاع عنه[٢٣].

هاجم المصريون الجنود الفرنسيين فى ساحة الأزبكية، وأجبروهم على التقهقر فى مشهد عبقرى دلل على شجاعة المصريين، وهو ما وصفه أحد ضباط الحملة الفرنسية قائلًا: «... لقينا مقاومة لا قبل لنا بشراستها وتنظيمها من قبل، فقدت سُدَّت الشوارع بمتاريس يصعب تجاوزها واضطرت قواتنا للتقهقر بعد إصابة الكومندان وعدة ضباط وجنود بجراح خطيرة. أما الثوار، وقد زادهم هذا الانسحاب جسارة، فقد بادروا بشن هجوم وانقضوا علينا بسرعة كالصقر كعادتهم...»، ويستطرد الضابط فى وصف إصرار المصريين على ملاحقة الفرنسيين قائلًا: «وقد هاجمونا فى اليوم التالى بنفس الطريقة... وقد اندهشنا بالفعل لمعاودتهم الهجوم فى اليوم الثالث بقطع من المدفعية التى استولوا عليها فى المطرية، وغفلنا عنها وخلفناها وراءنا..»، وكان ذلك سببًا فى وحشية الفرنسيين ضد المصريين فيما بعد، تلك الوحشية التى وصفها الضابط نفسه قائلًا: «فكنا أحيانًا نقصف المدينة وأحيانًا نستولى على بعض المنازل التى كنا نشعل فيها النيران على الفور»[٢٤].

كانت بولاق أحد أهم الساحات التى برزت فيها روح المقاومة المصرية وبسالة المصريين فى الدفاع عن أراضيهم، فقد هاجم المصريون المعسكرات الفرنسية فيها وسيطروا على المدافع الفرنسية، ولكن نظرًا لأنه لم

تكن بها القنابل اللازمة لتشغيلها، فلجأ المصريون إلى حيلة ذكية؛ حيث استخدموا الموازين الحديدية المتوافرة فى الوكالات والمحال، وأنشأوا معملاً للقنابل ومصنعًا آخر لصب الأسلحة بالاعتماد على المتطوعين من الحدادين والسباكين والنجارين وغيرهم، بهدف التجهز لقتال الفرنسيين، ولكن فى المقابل قام كليبر – القائد الفرنسى آنذاك – بحصار القاهرة وضربها بالمدافع، وهو ما نتج عنه سوء الأوضاع بين المصريين المحاصرين؛ إذ اشتد البلاء والكرب بينهم، وكانوا يعانون نقص المواد الغذائية بعد إغلاق المحال والمخابز وتوقف حركة الشراء والبيع، ولكن على الرغم من ذلك تماسك الثوار واستمات أهل بولاق فى الدفاع عنها ضد هجوم الفرنسيين، وبذلوا فى سبيل الدفاع عنها كل غالٍ ونفيس ولم يستسلموا أو ينهزموا؛ إذ استطاع الفرنسيون السيطرة على بولاق فى النهاية بعد أن أحرقوها ودمروها، لتنتهى ثورة القاهرة الثانية بعد أن استمرت شهرًا كاملاً تقريبًا (٢٠ مارس- ٢٠ أبريل ١٨٠٠م)، وكانت بذلك أطول وأعنف من ثورة القاهرة الأولى التى استمرت ثلاثة أيام فقط (٢١- ٢٣ أكتوبر ١٧٩٨م)[٢٥].

رابعًا : الثورة فى الأقاليم :

لم تقتصر ثورة المصريين على مدينتى الإسكندرية والقاهرة وأحيائها فقط ، بل امتدت إلى مختلف الأقاليم المصرية، فقد تردد صداها فى أنحاء الأقاليم، وكانت مقاومة الأهالى فى الأقاليم لقوات الحملة الفرنسية قد بدأت منذ أوائل عهد الاحتلال الفرنسى، وسوف نعرض لصور المقاومة فى أقاليم الوجهين البحرى والقبلى.

١ - مقاومة الحملة الفرنسية فى الوجه البحرى:

تعرضت قوات الحملة الفرنسية للمقاومة الشديدة من جانب الأهالى فى أثناء سيرها عبر أقاليم الوجه البحرى فى طريقها إلى القاهرة وفىأثناء توجه الجنرالات الفرنسيين لإدارة هذه الأقاليم، ومن ذلك ثورة أهالى قريتى (غمرين) و(تتا) التابعتين لمنوف فى ١٣ أغسطس ١٧٩٨م، فقد حمل الأهالى السلاح وأغلقوا الأبواب فى وجه الجنود، وقد طلبت القوات الفرنسية المزيد من الإمدادات لإخضاع القريتين بعدما دافع أهلهما دفاعًا شديدًا، واشتد القتال وبخاصة فى غمرين، وقاوم أهالى القرية بمن فيهم النساء جنود الاحتلال لمدة ساعتين، واستشهد من أهلها ما بين ٤٠٠ و ٥٠٠ شخص وبعد أن استولوا على «غمرين» اتجهوا إلى «تتا» ثم أضرموا النار فى القريتين عقابًا لهما على الثورة[٢٦].

وفى أوائل أكتوبر ١٧٩٨م ثار أهالى مدينة طنطا واجمع أهلها على الامتناع عن دفع أى ضريبة أو غرامة تفرض عليهم، وتم تجريد حملة أخرى إلى سنباط التابعة لإقليم الغربية لمواجهة الثوار هناك، ثم اتجهت حملة أخرى إلى قرية عشما بالمنوفية، ثم توالت عليها الهجمات لمعاقبة أهلها طبقا لأوامر بونابرت بحرقها فى ٢٠ أكتوبر وحاصروها ليلاً للقضاء على رئيسهم أبو شعير الذى قاوم الفرنسيين مقاومة شديدة، ولكنهم تمكنوا منه وقتلوه كما قتلوا إخوته وأولاده، وفى مدينة المنصورة تجمع الكثير من أهالى البلاد المجاورة يوم السوق وكان يوافق ١٠ أغسطس ١٧٩٨م، واختلطوا بأهل المدينة واتفقوا على الفتك بجنود الحامية الفرنسية، فهاجموهم وامتلأت المدينة كلها بالثورة رجالاً ونساءً وحاصروا الجنود فى معسكرهم، وشرعوا فى دكه وإشعال النيران فيه فاضطر الجنود إلى إخلائه هاربين واتجهوا إلى السفن قاصدين الفرار، ولما أبى رجال السفن أن يحملوهم التجأوا إلى البر وقصدوا دمياط، ولكن الثوار تمكنوا منهم جميعًا وكان عددهم يتراوح ما بين ١٢٠ و ١٦٠ شخصًا. وانتقلت المقاومة إلى قرى دنديط وميت غمر و الفرماوى بالدقهلية، وعهد بونابرت إلى قواده بإخماد الثورة فى تلك المنطقة إلا أن الثوار قطعوا جسور الترعة واستعملوا معهم وسائل الكر والفر مستخدمين المدافع، وواجهت الحملة أيضًا عصيانًا كبيرًا من أهالى البحر الصغير ومنها منية محلة دمنة والقباب الكبرى وامتناعهما عن دفع الضرائب والغرامات التى فرضت عليهم[٢٧].

وفى المنزلة كان حسن طوبار زعيم الثورة خصمًا عنيدًا لا يستهان به ومدبرًا لحركة المقاومة فى هذه الجهات، كما أنه كان على اتصال مع إبراهيم بك لمقاومة الفرنسيين، وقد عَدَّه الفرنسيون عنوانًا للمقاومة والعصيان، كما قاوم أهالى الجمالية بالدقهلية قوات الحملة مقاومة باسلة لمدة أربع ساعات، مما اضطر قائد الحملة إلى إضرام النيران فيها[٢٨]. وفى دمياط قاوم الأهالى القوات الفرنسية المتوجهة إليها وظل القتال متواصلاً ليلة ١٦ سبتمبر ١٧٩٨م، ولكن الفرنسيين تغلبوا على الثوار، وقاوم أهالى عزبة البرج وثاروا ضد الحامية الفرنسية، وبعد إخلائهم لها قام الفرنسيون بنهبها

وحرقها ، كما تمكنوا من القضاء على مقاومة الأهالى فى الشعراء، وكان أهالى قرية ميت الخولى أكثر اشتراكًا فى التعرض لجنود الحملة وسفنها، ولذلك تم نهبها انتقامًا من أهاليها، وقد استمرت أعمال المقاومة ضد الفرنسيين فى المنزلة ودمياط، وفى دمنهور قاوم الأهالى الحامية العسكرية الفرنسية، وتزايد المتطوعون فى صفوفهم وقد وجد الفرنسيون مقاومة شديدة فى سنهور التابعة لمركز شبراخيت بالبحيرة وانتهت المعركة الفاصلة بانسحاب الفرنسيين إلى الرحمانية، وقد شبه أحد الفرنسيين وهو مسيو ريبو Repo الثورة والمقاومة التى قام بها المصريون بقوله: «كانت كحية ذات مائة رأس كلما أغمد السيف والنار فى ناحية ظهرت فى ناحية أخرى أقوى وأشد مما كانت فكأنها كانت تعظم ويتسع مداها كلما ارتحلت من بلد إلى آخر»(٢٩).

هكذا عمت الثورة فى الوجه البحرى بكامله حتى أن المصريين استطاعوا إيقاف تقدم الفرنسيين فى البحيرة ودمنهور ومهاجمتهم فى أماكن متعددة وإنزال الكثير من الخسائر بين صفوفهم، ولم يسلم الفرنسيون أيضًا من مقاومة المصريين فى القليوبية والشرقية والغربية والمنوفية وطنطا والمنصورة ودمياط وغيرها من مناطق الوجه البحرى الذى انتشرت روح المقاومة فى كل أرجائها(٣٠) .

٢- ثورات الصعيد ومقاومته الحملة الفرنسية :

شكل نابليون بونابرت حملة بقيادة ديزيه Deasia لإخضاع الصعيد لسيطرة الفرنسيين، ولكن قوبلت حملته بمقاومة عنيفة ومستمرة من أهالى الصعيد بداية من بني سويف والفيوم والمنيا، ومرورًا بأسيوط وسوهاج، ووصولًا إلى قنا وأسوان، وقد قوبلت حملة ديزيه فى أثناء مرورها بهذه الأماكن بكثير من الحركات الثورية وحركات المقاومة، فكانت حملة ديزيه تواجه أعدادًا شتى لا حصر لها، وكان كلما تغلب عليها، تتجمع وتعاود القتال ثانية؛ حيث اشتعلت الثورة فى كل مكان واستمرت المقاومة دون هوادة، ولم يتراجع أهالى الصعيد يومًا عن المقاومة والدفاع عن أراضيهم ضد المحتل الفرنسى، على الرغم مما قام به من حرق للقرى والمحاصيل ونهبها، وغيرها من الأعمال الوحشية غير الإنسانية كاغتصاب النساء وضرب الأطفال(٣١).

كانت مقاومة أهالى الصعيد للحملة الفرنسية أعنف من غيرها فى باقى المدن والقرى المصرية، فقد استخدم الأهالى السلاح الأبيض فى معركة (سمهود) إحدى بلاد إقليم قنا فى ٢٢ يناير ١٧٩٩ كما شهدت معركة قفط المواجهة المباشرة وجهًا لوجه (٣٢).

هكذا كانت روح المقاومة تسود معظم أرجاء الصعيد، وكان عبء القتال فيه يقع فى معظمه على عاتق الأهالى؛ لأن المماليك كانوا لا يواجهون الجيش الفرنسى فى أحيان كثيرة، بل إن بعضهم باع سلاحه وتخلى عن مقاومة الفرنسيين، وكانوا ينسحبون أحيانًا من المعارك إذا اشتد القتال فيها، وبالتالى كان من الطبيعى أن يتولى أهالى الصعيد وأبناؤه هذا الدور، وهو ما أدّوه بكل بسالة شهد بها الفرنسيون أنفسهم، حتى إنهم وصفوا المعارك: «بأنها مواقع حربية كاملة حقيقية » (٣٣)، بل إن المصريين فى الصعيد قد طوروا طريقة القتال ضد الفرنسيين؛ إذ أدخلوا تعديلات على خطط المقاومة، فاعتمدوا بعد معركة سيدمنت فى ٧ أكتوبر ١٧٩٨م ببنى سويف على المقاومة المحلية التى قامت على عنصر المفاجأة، وكان هذا النوع أشد خطرًا على الجيش الفرنسى؛ حيث كان جنوده يشعرون بالخوف من مباغتة أهالى الصعيد لهم بشكل مفاجئ(٣٤).

وتميزت أعمال المقاومة فى الصعيد بأنها كانت حرب عصابات وثورات مستمرة وقتالًا شديدًا، وكانت هناك معارك أشبه بالثأر لما جرى من المعارك والأحداث التى وقعت بهذه البلاد.

وتُعد هذه المعارك دليلًا على فاعلية المقاومة وشدتها، كما تُعد المقاومة المستمرة دليلًا على ضعف الوجود الفرنسى فى مصر وعدم تمتعه بالأمن والاستقرار.

هكذا، لم تمر الحملة الفرنسية بمكان على الأرض المصرية، إلا وقام المصريون فيه بمقاومتها معلنين رفضهم الوجود الفرنسى، ولذلك عانى الفرنسيين طوال السنوات الثلاث التى احتلوا فيها مصر من مقاومة المصريين لهم، وتكبدوا خلالها كثيرًا من الخسائر البشرية والمادية، فعلى الرغم من الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية السيئة التى كان يعانيها المصريون، فإنهم لم يتهاونوا يومًا عن الدفاع عن أراضيهم.

الخاتمة والمقترحات :

- يتضح مما سبق أن المجتمع المدنى المصرى بكل طوائفه وفئاته، شكل عاملًا مهمًا من عوامل فشل الحملة الفرنسية فى تحقيق أهدافها الاستراتيجية، وفى مقدمتها تأسيس مستعمرة فرنسية فى مصر تكون قاعدة لإمبراطورية فرنسية على غرار الإمبراطورية البريطانية.
- كما اتضح تعدُّد أشكال ومجالات مقاومة المصريين للحملة الفرنسية، وقد رفع المصريون منذ البداية لواء العصيان فى الإسكندرية والقاهرة وشتى ربوع البلاد فى الدلتا والصعيد .
- كما تبين، مدى تعاون وتكاتف كل طوائف وفئات المجتمع المصرى بكامله فى مواجهة الاحتلال الفرنسى، وتمثل ذلك فى ثورات الوجه البحرى والوجه القبلى فى كل المدن والقرى والنجوع ، فقد شارك فيها كبار التجار، والأعيان، والحرفيون، والطلبة، والمشايخ، والمرأة، والرجل، والطفل، والعربان والصيادون والفلاحون، فكل فئات وطوائف المجتمع المصرى شاركت فى مناهضة الحملة الفرنسية على مصر.
- شاركت النساء إلى جانب الرجال فى مقاومة المحتل الفرنسى وكانت سندًا قويًا فى تحقيق النصر فى النهاية.
- أوضحت الدراسة أن المقاومة المصرية لم تنقطع منذ مجىء الفرنسيين حتى انسحابهم، فقد كانت الثورات مستمرة فى كل ربوع مصر.ولذا يُعد الاحتلال الفرنسى أقصر فترة احتلال نتيجة مقاومة المصريين للحملة، فلم تستمر الحملة فى احتلالها مصر سوى ثلاث سنوات وشهرين ويوم واحد، منذ أن جاءت فى ٢ يوليو ١٧٩٨ إلى أن انسحبت فى ٢ سبتمبر ١٨٠١م.
- اتضح من الدراسة أن المقاومة المصرية للحملة الفرنسية كانت نابعة من داخل المصريين أنفسهم دون توجيه من أحد وإنما نابعة من حسهم الوطنى دفاعًا عن الأرض والعرض والعزة والكرامة ، هذه المقاومة سببت انهاكاً عصبياً للغزاة وادركوا أنهم موجودون على أرض غير مرغوب فيهم عليها.

المقترحات:

- الاستفادة من التجارب الناجحة التى قام بها الأجداد فى مقاومة الحملة الفرنسية.
- تكاتف جميع طوائف وفئات المجتمع المصرى على قلب رجل واحد لمواجهة أى تآمر خارجى على مصر.
- عدم الانصياع وراء الشائعات المغرضة فهى إحدى حروب الجيل الجديد لإسقاط الدول.
- يجب تدريس مقرر «تاريخ مصرالقومى عبر العصور» لجميع الطلاب فى الجامعات والكليات العلمية والنظرية حتى يدرك الجميع أهمية مصر وعظمة تاريخها وكيفية الحفاظ على أمنها القومى.
- يجب تدريس مقرر «تاريخ مصرالقومى عبر العصور» لجميع الطلاب فى مرحلة التعليم قبل الجامعي مع مراعاة الفروق الفردية لطبيعة المرحلة (ابتدائي – إعدادى – ثانوى) حتى يدرك الجميع أهمية مصر وعظمة تاريخها وكيفية الحفاظ على أمنها القومى.
- عمل يوم وطنى لانتصار المصرين على الحملة الفرنسية (٢ سبتمبر) من كل عام، وهو تاريخ انسحاب الحملة الفرنسية من مصر ، وذلك من خلال الاحتفال فى المدارس ووسائل الإعلام المختلفة.
- اهتمام الدراما المصرية بإبراز الدور الوطنى للمقاومة المصرية مثال فيلم عن دور المصريين فى ثورة القاهرة الأولى، وكذلك ثورة القاهرة الثانية، ودور محافظة البحيرة ودمياط والمنصورة والمنوفية والفيوم وبنى سويف وقنا وأسيوط إلخ.
- إبراز دور بعض الشخصيات فى المقاومة مثل : (حسن طوبار شيخ الصيادين فى بحيرة المنزلة، وأبو شعير زعيم المقاومة فى قرى المنوفية، ومحمد كُريم فى الإسكندرية) ... إلخ.
- يجب عمل ندوات ومحاضرات ثقافية توعوية فى جميع مؤسسات الدولة لتوعية العاملين والموظفين بالتحديات التى تواجه مصر لكى يكونوا حائط صد أمام المؤامرات التى تهدف للإيقاع بمصر .

الهوامـش :

(١) محمد المهدى، علم النفس السياسى «رؤية مصرية عربية» مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ٢٠٠٧م / ص ص ١١٠ – ١١٩ .
(٢) وليد محمد البادى عواد ، أحمد كمال أحمد عبد الحافظ، العوامل المؤثرة فى الاستقطاب السياسى لدى الشباب على مواقع التواصل الاجتماعى، المجلة المصرية لبحوث الإعلام ، العدد ٦٤، القاهرة ، ٢٠١٨م، ص ص ٢٢٣-٢٨١.
(٣) محمد أحمد على مفتى، مفهوم المجتمع المدنى والدولة المدنية «دراسة تحليلية نقدية»، مجلة البيان ، مايو ٢٠١٤م ، ص ص ١٦٤-١٦٩.
(٤) وانظر ايضًـا سـامى الصـادق : نشأة وتطور المجتمع المدنى فى ظل واقع الأزمات ، مجلة الأسـتاذ ، العدد ١٦ ، كلية التربية جامعة بغداد، ربيع ٢٠١٩ م، ص٩٦. https://www.idsc.gov.eg، ١٢/ ٤/ ٢٠٢٤
(٥) عزمى بشارة ، المجتمع المدنى دراسة نقدية ، المركز العربى للأبحاث ودراسة السياسات ، ٢٠١٢م، ص ص ٦٩-٧٢.
(٦) عبد الرحمن الجبرتى، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، الجزء الثالث ، مطبعة الأنوار المحمدية ، القاهرة ، (د.ت) ، ص ص ٣٣-٣٩.
(٧) معجم المعانى الجامع ، دار العلم للملايين ، بيروت ، د.ت ، ص ص ٢٠١-٢٠٢.
(٨) عزمى بشارة ، المرجع السابق ، ص ص ١١١-١١٩.
(٩) سامية خضر صالح ، الشخصية المصرية تحديات الحاضر وآفاق المستقبل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٤م ، ص ص ٢٥-٢٩.
(١٠) سعد الدين إبراهيم،المجتمع والدولة فى الوطن العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨م ، ص ص ٢٠٥-٢٠٩م .
(١١) عزة عزت، التحولات فى الشخصية المصرية، كتاب الهلال، القاهرة ، ٢٠٠٩م ، ص ص ٤٤-٤٩.
(١٢) المرجع السابق، ص ص ٥٠-٥١.
(١٣) المرجع السابق، ص ص ٥٢- ٥٤.
(١٤) أشـرف محمـد عبدالرحمن مؤنس، دراسـات فى تاريخ مصـر الحديث (القاهرة: مكتبـة الآداب، ٢٠١٨)، ص ص ٤٥- ٤٧.، وانظر أيضًـا محمد فؤاد شكرى، الحملة الفرنسية وظهور محمد على، مطبعة المعارف، القاهرة ، ١٩٤٢م ، ص ص ١٩٦-١٩٩.
(١٥) محمد فرج، النضال الشعبى ضد الحملة الفرنسية، كتب ثقافية، العدد ١٨١ (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، د.س)، ص ص ٢٧، ٢٨.
(١٦) أشرف محمد عبدالرحمن مؤنس، مرجع سابق، ص ص ٤٧- ٥٦.وانظر أيضًا محمد فؤاد شكرى ، مرجع سابق ، ص ص ٢٠١-٢٠٤.
(١٧) مواريه، جوزيف مارى، مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية، ترجمة وتقديم كاميليا صبحى، المشروع القومى للترجمة، العدد ١٣٧ (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة- المجلس القومى للترجمة، ٢٠٠٠م)، ص ٧٦.
(١٨) أشرف محمد عبدالرحمن مؤنس، مرجع سابق، ص ص ٤٧- ٥٦. وانظر أيضًا محمد فؤاد شكرى ، مرجع سابق ، ص ص ٢١٠-٢١٥.
(١٩) عبد الرحمن الجبرتى ، مرجع سابق ص ص ٣٥-٣٩.
(٢٠) أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس ، مرجع سابق ، ص ٥٤.
(٢١) الجبرتى، مرجع سابق ، ج٣، ص ص ٧٥-٨١.
(٢٢) أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس ، مرجع سابق ، ص ص ٥٧-٦٠.
(٢٣) مواريه ، جوزيف مارى ، مرجع سابق ، ص ص ١٥٧، ١٦٠.
(٢٤) أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس ، مرجع سابق ، ص ص ٦١- ٦٤.
(٢٥) زين العابدين شـمس الدين، الحملة الفرنسـية على مصر والشام، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية، العدد ٨ ، دار الفكر العربى، القاهرة ٢٠٠٦م ، ص ص ٣٦-٤٣.
(٢٦) المرجع السابق، ص ص ٤١-٤٢.
(٢٧) المرجع السابق، ص ص ٤١ – ٤٢ .
(٢٨) المرجع السابق ، ص ص ٤١-٤٣.
(٢٩) محمد فرج ، مرجع سـابق ، ص ص ٣٨-٥٤، وعصـام محمد شبارو : المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسى والغزو البريطاني بيروت – لبنان: دار التضامن ، ١٩٩٢م ، ص ص ٥٧-٦٣.
(٣٠) نبيل السـيد الطوخى ، صـعيد مصر فى عهد الحملة الفرنسـية ١٧٩٨- ١٨٠١م (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م) ، ص ص ١٢٣، ١٣٨، ١٥٧، ١٧٣، ٣٤٣.
(٣١) زين العابدين شمس الدين ، مرجع سابق ، ص ص ٣٦-٤٣.
(٣٢) المرجع السابق ، ص ٣٨.
(٣٣) نبيل السيد الطوخى ، مرجع سابق ، ص ص ٥٣-٦٢.
(٣٤) زين العابدين شمس الدين ، مرجع سابق ، ص٤٣

دور المجتمع المدنى فى مقاومة الاحتلال الأجنبى "الحملة الفرنسية أنموذجاً"

■ أ.د/ أشرف محمد مؤنس
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة عين شمس
■ د/ محمد عبد الباسط العنانى
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة عين شمس

المستخلص :

فى إطار الصراع البريطانى الفرنسى فى أوروبا، جاءت حملة فرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى بقيادة نابليون بونابرت لاحتلال مصر، بهدف قطع الطريق بين بريطانيا ومستعمراتها فى الهند، وتكوين إمبراطورية فرنسية فى الشرق تكون مصر قاعدتها.

ولقد قامت القوى الشعبية المصرية بدور كبير فى التصدى للحملة الفرنسية منذ أن وطئت أقدامها أرض مصر، وتصدى لها أهالى الإسكندرية ببسالة كبيرة، وكذلك قام أهالى القاهرة بثورتين كبيرتين كبَّدوا الحملة خسائر فادحة، وعندما انتقلت الحملة إلى الأقاليم المصرية سواء فى الوجه البحرى أو الوجه القبلى تصدت لها جميع طوائف وفئات المجتمع المصرى من التجار والأعيان والحرفيين والمشايخ والطلاب والرجال والنساء، وكذلك الصيادون والعربان، مما أجبروا الحملة الفرنسية على الرحيل عن مصر بعد نحو ثلاث سنوات فقط، وهى تُعد أقصر فترة احتلال نتيجة للمقاومة الباسلة للقوى الشعبية المصرية، التى يمكن أن نطلق عليها المجتمع المدنى وهى طوائف وفئات غير حكومية.

وقد تم تناول الدراسة من خلال، الإطار المفاهيمى للمجتمع المدنى، والشخصية المصرية وأهم سماتها، كما تم عرض لصور المقاومة للحملة الفرنسية فى الإسكندرية والقاهرة والأقاليم المصرية سواء فى الوجه البحرى أو القبلى.

وهدفت الدراسة إلى إبراز الدور البطولى للمصريين البسطاء العُزَّل الذين تصدوا للحملة الفرنسية وأجبروها على الانسحاب رغم استخدامها أحدث أسلحة العصر آنذاك.

الكلمات المفتاحية : مفهوم المجتمع المدنى- مفهوم الشخصية المصرية - الحملة الفرنسية - المقاومة الشعبية المصرية.

The role of civil society in resisting foreign occupation "The French campaign as a model"

■ *Prof / Ashraf Mohamed Moenis*
Professor of modern and contemporary history at Ain Shams University
■ *Dr / Muhammad Abdel Basset Al-Anani*
Doctor of Modern and Contemporary History at Ain Shams University

Abstract:

In the context of the British-French conflict in Europe, a French campaign came in the late eighteenth century AD, led by Napoleon Bonaparte, to occupy Egypt, with the aim of cutting the road between Britain and its colonies in India, and forming a French empire in the East with Egypt as its base.

Egyptian popular forces have played a significant part in challenging the French campaign since they arrived in Egypt, and the people of Alexandria faced it valiantly, while the people of Cairo launched two big revolutions that inflicted enormous casualties on the campaign.

When the campaign moved to other Egyptian regions, whether in northern or southern Egypt, all sects and classes of Egyptian society reacted to it, including merchants, notables, craftsmen, sheikhs, students, men and women, as well as fishermen and Arab nomads. And as a result of the valiant resistance of the Egyptian popular forces, (which are non-governmental groups and sects that we might refer to as the civil society), it forced the French campaign to flee Egypt after only three years, which is considered a short period of occupation.

In this study, we will discuss the conceptual framework of civil society, the Egyptian character and its most important elements, as well as pictures of the resistance to the French campaign in Alexandria, Cairo, and the Egyptian regions to the north and south.

The study aims to highlight the heroic role of the simple, defenseless Egyptians who opposed the French campaign and forced it to withdraw despite its use of the most advanced weapons of the time.

Keywords: The concept of civil society - the concept of the Egyptian character - the French campaign - the Egyptian popular resistance.